



## الخطاب الإقناعي في أشعار ذوي العاهات الجاهليين

### Cahiliyye Dönemi Engelli Arap Şairlerin İkna Söylemi

*The Persuasive Discourse in the Poetry of pre-Islamic poets with Disabilities*

ملخص

يُعنى هذا البحث بنمط شعري قديم ميثوث في مصنفات التراث الأدبي العربي ودواوين شعرائه، وهو - على طرافته - فن مهمل، ينتظر من يميظ اللثام عنه، ويدرس أبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية في سياقاتها التاريخية التي أنتج فيها، وذلك من خلال مقارنة حجاجية لنماذج من أشعار ذوي العاهات الجاهليين الذين عانوا من فقد عضو أو وظيفة عضو من أعضاء جسداهما إما بالوراثة، وإما بالخلقة، وإما إثر تعرضهم لحادثة مؤلمة في أيام السلم أو الحرب حالت دون تمتعهم بتمام القوة البدنية التي يتمتع بها الأصحاء من الناس.

وسيؤكد البحث أن هذا النوع من الخطاب الحجاجي الفريد - على قلته - لم يلتفت الدارسون إلى العناية به، بوصفه فنا قائما بذاته، سواء تمثله بنى شعرية مستقلة ومختزلة، كالبيت المفرد والنقطة والمقطعة، أم كان منثورا في أعطاف بنى فنية مكثفة، تحققت فيها معايير الوحدة الموضوعية أم لم تتحقق، كالقصائد القصار أو الطوال التي قد تتشعب فيها المعاني الشعرية وتتنوع.

#### ÖZET

Bu araştırma, Arap edebiyatı mirasındaki eserler ve şairlerin şiir derlemelerinde yaygın olan eski bir şiir tarzıyla ilgilidir. Bu tarz, taşınmış olmasına rağmen -gülünçlüğüne rağmen- ihmal edilmiş bir sanattır ve üzerinde perde kaldıracak, psikolojik, sosyal ve kültürel boyutlarını, üretildiği tarihsel bağlamlarda inceleyecek birinin beklemektedir. Bu, hem miras yoluyla hem de doğuştan gelen miras nedeniyle veya barış veya savaş zamanlarında acı verici bir olay sonucunda bir parçasının bir parçasını veya organ işlevini kaybeden cahiliye dönemi şairlerinin şiir örneklerine diyalektik bir yaklaşım aracılığıyla gerçekleştirilir. Bu, sağlıklı insanların sahip olduğu fiziksel gücü tam anlamıyla yaşayamamalarına engel olan engelli şairlerin şiirlerinin örneklerini içeren tarihsel bağlamlarında psikolojik, sosyal ve kültürel boyutlarını araştırır.

Bu araştırma, bu benzersiz türdeki tartışmacı söylemin, nadir olmasına rağmen, dikkate alınmadığını ve bağımsız bir sanat formu olarak görülmediğini vurgulayacaktır. Bu, tek başına ve kısa şiirsel yapılar olarak temsil edilebileceği gibi (tek dize veya kısa şiir parçaları gibi), yoğun sanatsal yapılar içinde dağılmış olarak da görülebilir. Bu yapılar, nesnel bir birlik kriterine uygun olsun ya da olmasın, kısa veya uzun şiirler gibi, şiirsel anlamların dallandığı ve çeşitlendiği yapılar olabilir.

Bu araştırma, İslam Öncesi engelli şairlerin şiirinde, kendi bireysel engellerine veya sakatlıklarına karşı duruşlarını ifade etmek için kullandıkları argümantasyon şekillerini ve sanatsal teknikleri izlemeyi amaçlamaktadır. Cahiliye dönemi şairlerinin birçoğu farklı türden sakatlıklarla mücadele etmiştir; bazıları doğuştan gelirken, bazıları hayatlarında bir olaydan sonra sakat kalmıştır ve bazıları da yaş ilerledikçe sakatlıkla karşılaşmıştır.

**Anahtar Kelimeler:** Cahiliyye Dönemi, Şiir, Hitap, Argümantasyon, İkna.

#### ABSTRACT

This research focuses on an ancient poetic style found in the works of Arabic literary heritage and the collections of its poets. Despite its intricacies, this neglected art form awaits someone to unveil its secrets and study its psychological, social, and cultural dimensions within their historical contexts. This is achieved through a dialectical approach to examples of poetry by individuals with physical disabilities during the pre-Islamic era who suffered the loss of a body part or bodily function either through inheritance, congenital conditions, or as a result of a painful incident during times of peace or war, preventing them from enjoying the full physical strength that healthy individuals possess.

The research will emphasize that this unique form of argumentative discourse, despite its rarity, has not received the attention it deserves as an independent art form. Whether it is manifested in concise and standalone poetic structures, such as individual verses or short poetic pieces, or scattered within intricate artistic compositions, whether or not it meets the criteria of thematic unity, such as short or long poems where poetic meanings may branch out and vary.

The research on the poetry of the disabled individuals in the pre-Islamic era aims to trace the argumentative forms and artistic techniques they employed to express their attitudes towards their own disabilities. A considerable number of poets during the pre-Islamic era suffered from diverse disabilities, some of which were congenital, while others were acquired as a result of certain incidents in their lives, and some were afflicted with disabilities due to the aging process.

**Keywords:** Pre-Islamic Poetry, Discourse, Argumentation, Persuasion, Disability.

Muhammed Elmehdi Rifai<sup>1</sup>

#### How to Cite This Article

Rifai, M. E. (2023).

“الخطاب الإقناعي في أشعار”

”ذوي العاهات الجاهليين“

International Social Mentality

and Researcher Thinkers

Journal, (Issn:2630-631X)

9(76): 4821-4829. DOI:

<http://dx.doi.org/10.29228/smryj.71630>

ryj.71630

Arrival: 10 June 2023

Published: 25 October 2023

Social Mentality And

Researcher Thinkers is

licensed under a Creative

Commons Attribution-

NonCommercial 4.0

International License.

#### المدخل

من خلال مقارنة التجارب الشعرية الجاهلية، وتتبع رؤى مبدعيها ووجهات نظرهم في الإنسان والوجود والحياة تبين أن خطابها الحجاجي في الإعاقة قد هُتمش - على ما فيه من جدة في التناول - مع أن أدب تلك الفئة لم يهتمش في المعاني الشعرية الأخرى التي بدا لبعض الدارسين أنها مركزية، وتستحق أن تتربع عرش الدراسات النقدية المعاصرة - على ما فيها من نمطية في التناول - كأعراض المديح والهجاء والفخر والحماسة والغزل والحكمة والوصف. وهكذا لم يسلط الضوء على سواها من المعاني على نحو كاف، حتى وإن كان منتجها من مشاهير الشعراء، كبعض شعراء المعلقات والشعراء الفرسان، ومنهم: الحارث بن حلزة الذي صبر على البرص، والأعشى الكبير الذي عانى من العشا، وعامر بن الطفيل الذي تعب من العمق والعور، وسواهم من الشعراء ذوي الإعاقة.

Dr. Öğr. Üyesi, Kırıkkale Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Temel İslam Bilimleri, Arap Dili ve Belagatı Ana Bilim Dalı,<sup>1</sup> Kırıkkale, Türkiye.

وقد فطن أعلام الثقافة العربية القديمة إلى هذا النوع من الخطاب، وتحدثوا عنه، وربما أفرد بعضهم مؤلفات مستقلة فيه، مثلما فعل الهيثم بن عدي (ت 207هـ) في (كتاب المثالب)<sup>2</sup>، والجاحظ (ت 255هـ) في مصنفه (البرصان والعرجان والعميان والحوالان)<sup>3</sup>، وابن الجوزي (ت 597هـ) في كتابه (تلفيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير)<sup>4</sup>، وصلاح الدين الصفدي (ت 764هـ) في كتابه (الشعور بالعمور)<sup>5</sup>.

## 1. الحجاج والإعاقفة بين المعنى الوضعي والمعنى الاصطلاحي:

### 1.1/1 مفهوم الحجاج:

ليس ثمة عائق شعري يمنع الشاعر القديم من مخاطبة عقل المتلقي إلى جانب التأثير في قلبه، وقد "تنبه حازم القرطاجني (ت 684هـ) إلى إمكانية تداخل الأنواع الأدبية في خصائصها، فإذا كانت الخطابة ميداناً للحجاج والشعر ميداناً للتخييل فمن الممكن استعارة كلٍ منهما من الآخر بعض سماته"<sup>6</sup>، معللاً رؤيته النقدية بأن "استعمال الإقناع في الأقاويل الشعرية سانغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضوع بعد الموضوع، كما أنّ التخاييل سانغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضوع بعد الموضوع"<sup>7</sup>. فمن الممكن أن يتمتع الشعر بسمات الخطابة، والخطابة بسمات الشعر بشرط ألا تتصهر الخصائص الأصلية لكل منهما بخصائص الآخر.

### 1.1/1 مفهوم الحجاج لغةً:

الحجاج والمحاجة "مصدران للفعل (حاجج)، وحاجّه حجاجاً ومحاجّةً نازعه، والحجاج والنّاحج: الخصومة، وحاججتُ فلاناً فحججته: غلبته بالحجة، والحجة: الدليل. والحجة: البرهان<sup>8</sup>. والحجة في علم الفقه "ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد"<sup>9</sup>. والحجة في علم المنطق "هي الموصلة إلى التصديق"<sup>10</sup>، و"الحجة ما دافع به الخصم"<sup>11</sup>. والصيغ لها تحيل إلى معنى الدليل.

### 2.1/1 مفهوم الحجاج اصطلاحاً:

أما الحجاج على المستوى الاصطلاحي فهو عند برلمان "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"<sup>12</sup>. وهو عند محمّد العبد "جنس خاص من الخطاب، يبني على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيّاً، قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"<sup>13</sup>. والحجاج عند حنان عكو "طريقة في الكلام تستدعي وجود طرفي نزاع يتخاصمان في الرؤى والنصوّرات، ويروم كلٌّ منهما إفحام الآخر بأدلة تحمله على إعادة النظر في مسلماته. وعلى هذا فالحجاج إجراء عقليّ لغويّ ناجع في مجالات التخطاب الهادفة إلى الإقناع والإفهام والإقناع من غير إكراه أو قمع"<sup>14</sup>.

ويبدو من خلال التعريفات السابقة أن الحجاج طريقة في القول، تتجه من متكلم إلى مخاطب حاضر أو مستحضر في الذهن، يهدف إلى هزّ مسلماته، ومقارعة أفكاره، وإقناعه بوجهات نظر الذات، ولكن من غير إجبار.

### 2.1/1 مفهوم العاهة:

يمكن فهم لفظة (عاهة) من خلال تتبّع الدلالة في مستواها اللغوي، ومن ثمّ في مستواها الاصطلاحي، وكذلك من خلال مناقشة بعض قضاياها التي أهملت في المنجز النقدي المعاصر.

### 1.2/1 مفهوم العاهة لغةً:

تطلق العاهة في المعجم العربي على الأفة<sup>15</sup>، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة<sup>16</sup> أي: الأفة التي تصيب الزرع والثمار فتفسدوها. وأعاه القوم وعأهوا وعأهوا: أصاب ثمارهم أو ماشيتهم أو إبلهم أو زرعمهم العاهة<sup>17</sup>.

2 ينظر: ابن عدي، الهيثم، المثالب، تحقيق: عصام مصطفى عقلة ومحمد عبد القادر خريسات، (الأردن: الجامعة الأردنية، 2010م).

3 ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحوالان، تحقيق: عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الجيل، 1990).

4 بن الجوزي، عبد الرحمن، تلفيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1997).

5 الصفدي، صلاح الدين، الشعور بالعمور، تحقيق: عبد الرزاق حسين، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1988).

6 عكو، حنان، "النزوع الحجاجي في نقيضتي عامر بن الطفيل والناطقة الذبياني"، مجلة آفاق الثقافة والتراث- مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث عدد 111 (2020)، ص 84.

7 القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، تحقيق: محمّد الحبيب ابن الخوجة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986)، ص 361.

8 ينظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1994)، 2/228.

9 الجرجاني، علي بن محمد، التّعاريف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الريان للتراث، 1982)، ص 112.

10 السيوطي، جلال الدين، مقالات العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمّد إبراهيم عيادة، (القاهرة: مكتبة الآداب، 2004)، ص 118.

11 ابن منظور، لسان العرب، 2/228.

12 التريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، (إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2011)، 21، نقلاً عن مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، برلمان وتيتيكاه، المطابع الجامعية بليون، 1981.

13 العبد، محمّد، "النص الحجاجي العربي"، جذور 21/9 (2005)، ص 243.

14 عكو، "النزوع الحجاجي"، ص 85.

15 ينظر: الأزدي، ابن تميم، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، وابن منظور، لسان العرب، 520/13، والفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، ص 1250.

16 الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح- سنن الترمذي، إعداد: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: مطبعة البابي الحلبي، 1975م)، "باب ما جاء في كراهية بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها" الحديث رقم: 1227، 3/521.

17 ابن منظور، لسان العرب، 520/13.

وجاء في الحديث الشريف "لا يُوردَنَّ ذو عاهة على مُصحِّح<sup>18</sup>؛ أي: "لا يورد من إبائه أفة من جرب أو غيره على مَنْ إبائه صحاح، لئلا ينزل بهذه ما نزل بترك، فيظن المصحح أن تلك أعدتها فيأثم"<sup>19</sup> وطعامٌ ذو مَعْوَهَةٍ؛ عن ابن الأعرابي، أي: مَنْ أكلَهُ أصابتهُ عاهة<sup>20</sup>، وعِية المأل. عاهة المأل يَعْيه: أصابتهُ العاهة؛ أي: الآفة. أرضٌ مَعْيُوَهَةٌ: ذاتُ عاهة. أعاهوا وأعوهوا وعوهوا: أصابتْ ماشيتهم أو زرْعهم العاهة<sup>21</sup>.

ويتراءى من خلال العودة إلى بعض المعجمات العربية أن هذه اللفظة كانت تستخدم في الحقل النباتي والحيواني، وغير ذلك، ثم اتسعت دائرة الاستعمال الوضعي لتطلق مجازاً على الإنسان، وقد تنبه إلى هذا المعنى الدقيق الباحث الحسين اخليفة، إذ ذهب إلى أن هذه اللفظة "اتخذت الإنسان فيما بعد محضاً من محاضنها"<sup>22</sup>، داعماً رأيه بقول لابن فارس، ذلك أن "السلامة أن يسلم الإنسان من العاهة"<sup>23</sup>.

## 1/2/2. مفهوم العاهة اصطلاحاً:

يحيل المعنى اللغوي لصيغة (عاه) إلى المعنى الاصطلاحي للكلمة، فقد لوحظ أن مفهوم ذوي العاهة "لم يخرج عن كونهم أشخاصاً ابتلاهم الله تعالى بما أفقدهم شيئاً من قدراتهم أو حواسهم، فأصبحوا معوقين عن الحركة والعمل والكسب أو العطاء كغيرهم من الناس. ومن ثم احتاجوا إلى مزيد من الرعاية والعتاية. ونلاحظ أن ما أصاب هؤلاء فجعلهم ضمن هذه الاحتياجات الخاصة ينحصر في: عاهة خلقية، أو مرض أو حادث. وأرى أنه يدخل في معنى هؤلاء: كبار السن، أو العجزة الذين أُنثِرَ فيهم تقدم العمر فصاروا يتحركون بصعوبة أو يأكلون بعناء شديد، ويحتاجون لرعاية خاصة في شتى الجوانب: مآكلهم، شربهم، نومهم، علاجهم، الإنفاق عليهم"<sup>24</sup>. ومن ثم "تطوّر مصطلح العاهة من عصر إلى آخر، وتغيّر من جبل إلى جبل؛ ففي العصور الوسطى، أطلق المسلمون لقب عاهة على كلِّ من وجدوا لديه امتيازاً خلقياً. فالبحر والبرص والطفيل والقصار وسواهم هم من أصحاب العاهات. وتطوّر هذا المفهوم في ما بعد واقتصر على المكفوفين والمقعدين والصم والبكم والمرضى عقلياً، وسُموا بالمعوقين، وسميت الآفة التي تصيبهم بالإعاقبة"<sup>25</sup>، وبذلك تعني العاهة أيّ تشوّه خلقي أو عيب بدني ظاهر للعيان، يولد مع الإنسان، أو يصيب جسده خلال رحلة حياته أو في نهايتها، ومن ثم يعوقه عن أداء مهامه بيسر، فينكشف عجزه، ويتنبّت تدهوره الصحي أمام الذات والأخرين، كأن يعاني فقد عضو من أعضاء الجسد، أو فقد وظيفة العضو دون فقده، أو شذوذ العضو في أداء وظيفته المنوطة به.

## 2. حاجية خطاب ذوي العاهة في الموروث الشعري الجاهلي:

يرمي البحث في شعر ذوي العاهة الجاهليين إلى تتبّع الأشكال الحجاجية والتقنيات الفنية المعتمدة لديهم للتعبير عن مواقفهم إزاء عاهة الذات أو عاهاتها؛ فقد عانى عدد غير قليل من شعراء الجاهلية من عاهات متنوعة، وبعضهم خلقت معه، وبعضهم أصيب بها عقب حادثه ما خلال حياته، وبعضهم ألمت به نتيجة تقدّم السنّ به؛ فهذا الشاعر الجاهلي القديم الحارث بن حلزة عانى من البرص، وذو الإصبع العدواني عانى من الترم<sup>26</sup> وتقلّ السمع وعاهات أخرى، والأعشى الكبير عانى من العشا حتى لُقّب به، وعامر بن الطفيل عانى من العمم والعور، وأكبر معاناة رشحت بها الأنساق الشعرية الجاهلية معاناة الكبر، وما يرافقها من معاناة من الشيب أو الصلع أو الوهن أو سوى ذلك من علل.

وقد اعتمد الشاعر الجاهلي أساليب إنشائية متعددة إزاء علل البدن، من ذلك: تحدي العاهة، والفخر بالعاهة، والمقارنة، وقلب الحقائق، والاستسلام والتسليم لها.

## 1/2. تحدي العاهة بابتكار صور جديدة:

قد يقف الشاعر الجاهلي حيال عاهته موقف المجابه المناضل، لا موقف المستسلم الخاضع، معوّضاً النقص الحاصل منها بكمالٍ تؤديه وظيفة حاسة أخرى، أو عضو آخر على نحو أكثر إتقاناً من أداء العضو نفسه عند شخص آخر سوي، و"من المصابين من يكون راضياً بعلته، فيواجهها في مواقف دقيقة مواجهة جريئة"<sup>27</sup>. وثمة شاعر جاهلي فارس، عُدّ من مخزومي الجاهلية والإسلام، اشتهر بالجاه والشرف والبطولة والاعتداد بكل ذلك، غير أنه يفاجئ المتلقي بأفات ثلاث يقرّ بهن في يوم فيف الرياح<sup>28</sup>؛ إذ يبدو أنه شعر بأنهن عظيمات الأثر فيه وقتذاك، وإن لم تتبطن من عزيمته، وهن أفة: العور، والعمم، والضعف، يقول في طعنة عجز عن درئها:

لَعَمْرِي - وما عَمْرِي عَلِيٌّ بِهِيْنِ  
فَبَيْسَ الْفَتَى إِنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا  
لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْهَرٍ  
جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مُخْضِرٍ<sup>29</sup>

تبلغ البطولة أعلى معانيها في هذين البيتين كما هي عليه في أغلب الأنساق الشعرية التي أنجزها عامر بن الطفيل، ولكنها تتراءى هنا بطولة نفسية لا بدنية، فمن البطولة أن يشهر الرجل عيوبه بدلاً من أن يخفيها. و"ليس ثمة مفارقة في اعتزاز عامر ببطولته، لكنّ المفارقة في جعل البطولة والإقدام سببين للعور... ومهما كانت أسباب العور سامية فإنّها تحتم إثارة شفقة مبصرها، لكنّها هنا شفقةً متمزوج بالضحك، إذ يُردف

18 القاري، علي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (بيروت: دار الفكر، 2002م)، 3/1.

19 ابن منظور، لسان العرب، 520/13.

20 ابن منظور، لسان العرب، 520/13.

21 ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1250.

22 الحسين، اخليفة، "خطاب ذوي العاهة في الثقافة العربية: بحث في المرجعيات الثقافية والمنازع الجمالية"، إربد للبحوث والدراسات الإنسانية 2/24 (2022)، ص245.

23 بن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، 1979م)، 3- 90/3.

24 الحولي، ماهر حامد، المعاق في الفكر الإسلامي، (فلسطين: الجمعية الفلسطينية للعلوم التربوية والنفسية، 2007م)، 3- 4.

25 جلول، سامي محمد، "واقع أصحاب العاهات في القرن الأول الهجري (1- 132هـ/ 622- 750م)"، الحداثة عدد215-216 (2021م).

26 التّرْمُ: انكسار سِنِّ من الأسنان المقدّمة مثل الثّنايا والرّباعيات. ينظر: لسان العرب، 76/12.

27 اخليفة، "خطاب ذوي العاهة في الثقافة العربية"، ص276.

28 فيف الزّيح: هو يوم تواجه فيه بنو عامر وجموع قبائل اليمن، وفيها بنو زُبَيْد وجُعْفَى ومُدْجج ومُرَاد وخُتَم وأكَلب، وذاقت فيه بنو عامر وطأة الحرب ومرارة الاندحار، لكنّ عامراً دفع الهزيمة مؤثراً أن يتلقّى طعنة مسهر ابن يزيد الحارثي الغادرة وأن يفقد إحدى عينيه على أن ينسب إلى العار والجبن والفرار. ينظر: محمد أحمد جاد المولى وأخران، أيام العرب في الجاهلية، (بيروت: دار الجليل، 1988)، ص132- 136، وابن الطّفيّل، عامر، ديوان عامر بن الطّفيّل، تحقيق: عمر فاروق الطّبايع، (بيروت: دار الفلم، 1994)، ص5- 6.

29 ابن الطّفيّل، ديوان عامر بن الطّفيّل، ص45.

العور يعيبن اثنين يدعمان سلبيته (كنت أعور عاقراً جباناً)، فإذا عُرف سبب العور فما هو سبب العقر؟ هل هو الدفاع عن النفس أيضاً؟ يحاول الشاعر الحفاظ على تقدير الذات، ووقايتها من الاعتراف بالوهن الذكوري؛ ولهذا يقرن العقر بالعور، فيوهم بأنهما نتيجتان للأسباب ذاتها (الإقدام، والبطولة، والدفاع)<sup>30</sup>.

والشاعر الجاهلي الشهير (الأعشى الكبير) لم يُعرف باسمه (ميمون بن قيس) بقدر ما عُرف بلقبه الذي اختزل، بمضامينه الوضعية، علة حسيةً مربيةً كشفت فساد نظره، وطبيعة أداء حاسة البصر لديه. وقد أتبع لقبه بصفة أخرى معنوية تمييزاً له من غيره من الشعراء الذين لقبوا باللقب نفسه، لكنهم لم يثروا مصنفات الموروث الشعري العربي القديم بأضحى ديوان شعري كما أثرى هو<sup>31</sup>. والعشا في اللغة "سوء البصر بالليل والنهار... وقيل: العشا يكون سوء البصر من غير عَمَى، ويكون الذي لا يُبصر بالليل، ويُبصر بالنهار"<sup>32</sup>.

ويذهب محقق الديوان محمد محمد حسين إلى أن "الأعشى في اللغة هو الذي لا يبصر في الليل، ويبصر في النهار، وقد فسره بعض اللغويين بسوء البصر، وفسره بعضهم بالعمى، ولكن التفسير الأول هو أشهرها"<sup>33</sup>. وقد أشار الأعشى إلى علة العشا في شعره صراحة، ولم ينكرها، أو يسترها، أو يدعي عكسها، يقول:

على أنها إذ رأني أفا دُ قالت بما قد أراه بصيرا  
رأت رجلاً غائب الوافدي من مختلف الخلق أعشى ضريراً  
فإن الحوادث ضغعتني وإن الذي تعلمين استعيرا<sup>34</sup>

يرد الأعشى على الأنثى التي رآته بعد طول غيابه عنها، ففاجأها بتبدل حاله، وشيخوخته، وضعف بصره حتى ألبأته الأيام إلى من يقوده من ذراعها، ويدله على طريقه، فقد يحتاج المعوق إلى الآخر ليساند ما تبقى من حياته، وقد يكون خادماً، أو عصاً أو أرضاً، كما سيظهر عند ذي الإصبع العدوانية في غير موضع، يقول الأعشى:

صدت هريرة عما تكأنا  
جَهلاً بأم خُلَيْدٍ حَبَلٍ مَنْ تَصَلُّ؟  
أَنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَّ بِهِ  
رَيْبُ الْمُنُونِ وَدَهْرٌ مُفْنِدٌ حَبَلٌ؟<sup>35</sup>

يكشف الشاعر، من خلال هذين الأبيات، تلك الطبيعة المتناقضة التي جُبلت عليها المرأة، فبعدما كانت تقبل عليه أضحت تدبر عنه، وما ذلك إلا لأنه بدأ يفقد مظاهر الحياة المتوثبة، فالسن به تقدمت، والشيب غزا رأسه، وحاسة البصر عنده تنقهق. لكن السياق العام للأبيات لم يظهر الأعشى ضعيفاً جزئياً أمام تلك الأنثى، بل جريئاً فتاكاً، وثاقاً من قدرة عينيه على تتبع مفاتن المرأة والتقاط الحركات الأنثوية الجذابة فيها، إذ يقول بعد ذكره لعشاه داعماً حاسة البصر بحاسة الشم:

نغم الضجيج غداة الدجن يصرعها  
للذة المرء لا جفاف ولا تفل  
هركولة فأنصق دُرْمَ مَرافقها  
كأن أخصصها بالشوك منتعل  
إذا تقووم يضوغ المسك أصورة  
والزنبق الورْد من أردانها شمل<sup>36</sup>

وعلى هذا "لم تعق العلل إذن أصحابها، وتمنعهم من ممارسة حياتهم اليومية ممارسة طبيعية، بالرغم من آثارها وانعكاساتها السلبية عليهم.. بل كانوا يحاولون التفاعل الإيجابي معها"<sup>37</sup>. وهذا التحول في موقف المرأة والمجتمع عموماً لم يحل دون اعتراف الأعشى وشعراء آخرين بضعفهم البدني، وبعلاجات أخر أقرروا بها في سياقات متنوعة.

## 2.2. الاعتراز بالعاهة:

قد يدافع الشاعر الجاهلي عن عاهته، ويحتج لها، منقّباً عن مزايا لها، ربما لا تخطر في بال من برأ من تلك العاهة، زاعماً أنه لا يفتن إليها، ولا يتنبه إليها سوى ذوي البصيرة والنظرة العميقة الناقبة في حوادث الوجود.

30 عكو، حنان، أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي، (الشارقة: دائرة الثقافة، 2019)، ص246-247.

31 منهم: أعشى همدان، وأعشى أسد، وأعشى باهلة، وأعشى تغلب. ينظر: الأمدي، الحسن بن بشر، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق: ف. كرنكو، (بيروت: دار الجيل، 1991)، ص13-23.

32 ابن منظور، لسان العرب، 56/15.

33 الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد محمد حسين، (القاهرة: مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، د.ت.)، من مقدمة المحقق، ص (أ).

34 الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص95. الوافدان: العينان، مختلف الخلق: متغير عما عهدته عليه، ضغضغ: أفنى.

35 المصدر نفسه، ص55. ريب المنون: نواب الدهر. مقند: القند: الفساد. خيل: فساد العقل.

36 المصدر نفسه، ص55. الدجن: إلياس الغيم السماء. لا جاف: لا غليظ النقل: منتن الرائحة، أو الذي لا يتطيب. الهركوكة: ضخمة الوركين، حسنة الخلق: الفقق: حسنة الخلق. والأنثى درما: أي مرافقها درمة، ليس لمرافقها حجم. الأخصص: باطن القدم. أخصصها بالشوك منتعل: متقاربة الخطو.

37 اخليفة، "خطاب ذوي العلل في الثقافة العربية"، ص275.

هذا الحارث بن حلزة شاعر من شعراء المعلقات، لم يمنعه برصه من الدفاع عن قومه، والبراعة في الرد على عمر بن كلثوم في حضرة الملك عمرو بن هند. وقيل: إنه أعدّ معلقته لينشدها قومه بدلاً منه؛ لأنه كان أبرص، وكره أن ينشدها من وراء سبعة ستور، ثم يُغسل أثره بالماء، كما كان يفعل بسائر البرصان، لكنه تراجع عن موقفه، ورأى أن ينشدها بين يدي الملك لما أبدى إعجابها بها، وقد أمر برفع الستور، وأدناه منه، وأطعمه في جفنته، ومنع أن يغسل أثره<sup>38</sup>. وكان ممن فخر ببرصه في قوله:

يا أمَّ عمرو لا تُعزِّي بالروقِ ليس يضيرُ الطرفَ توليعُ اليَلقِ

إذا حوى الحلبية في يوم السبق<sup>39</sup>

يعني الحارث بن حلزة أن العاهة الخارجية التي تصيب البدن لا تحول دون أن يحيا حياة سوية، ولا سيما إذا كان من أصل كريم. ويسرف الشاعر الأبرص في هذا المعنى أكثر من ذلك ليذهب إلى أن من اعترته عاهة قد يفوق من لم تعتره عاهة، منوهاً بالفرس الأبلق الذي يظل يُذم مع فوزه في الرهان<sup>40</sup>.

وإذا كانت بعض العاهات المعدية مادة لفخر ذوي العاهات بها فكيف بمن كانت عاهاتهم غير معدية، ولا موزية؟ هؤلاء ينبغي أن يكون احتجاجهم لها أقوى، ودفاعهم عنها أكثر إقناعاً. ويذهب الجاحظ إلى أنه "إذا كان الأعرابي يعتره البرص فيجعله زيادةً في الجمال، ودليلاً على المجد، فما ظنك بقوله في العرج والعمى وهما لا يُستقذران ولا يُتفرزُ منهما، ولا يُعديان، ولا يُظنُّ ذلك بهما، ولا ينقصان من تدبير، ولا يمنعان من سوؤد<sup>41</sup>". فهذا الطائي الأعرج خطب امرأة، فشكت عرجه إلى جاراتها، فردَّ بقوله:

تَشَكَّى إلى جاراتها وتعييني فقالت: معاذ الله أنكح ذا الرجل

فكم من صحيح لو يوازنُ بيننا لكذا سواءً أو لَمالٍ به حملي<sup>42</sup>

يثقل على الشاعر الأعرج نفورُ الأنتى التي يريدها منه لمجرد عرجه، ناقلاً كلامها كما وصله على لسانها (معاذ الله أنكح ذا الرجل)، فهي تستعيز بالله من الزواج برجل أعرج، وتستنكره أشد الاستنكار. ويشدّد وقع موقفها التقبيمي على الشاعر الأعرج، فيرد على ما وصله منها بأن العرج ليس عيباً جسدياً جسمياً معدياً، ولا انهداماً صحياً فاضحاً مؤذياً، بل ليس معياراً لأن تقصّل من ليس بأعرج على الأعرج، لأنها لو حكمت عقلها، وأعملت ذهنها، وقارنت وتبينت لظهر لها أنّ معوج الخطأ قد يساوي سويها، بل ربما يفوقه لما يُعرف عن ذوي الإعاقة من رغبة ملحّة في تحدي إعاقاتهم بالتميز في ميدان من الميادين التي لا يقدر عليها الأصحاء من الناس.

### 3.2. المقارنة:

تكنم البراعة الحجاجية في أن "يلتجئ صاحب العاهة أحياناً إلى عقد مقابلة وموازنة بين وضعيتين يضعهما المتلقي أمامه، فيترك له حق اختيار إحداهما. وتكون نتيجة الاختيار بالضرورة تفضيل حالة العاهة والافتناع بها"<sup>43</sup>. فهذا سلمة بن مزة الشيباني عانى من قصر القامة<sup>44</sup>، وكانت قد أخذت ابنة أسير له عليه هذا العيب البدني<sup>45</sup>، فردَّ عليها بقوله:

ألا زَعَمَتْ بِنْتُ امرئِ القَيْسِ أَنِّي  
وَرَبٌّ طَوِيلٌ قَدْ نَزَعَتْ ثِيَابَهُ  
وَقَدْ عَلِمْتُ حَيْلَ امرئِ القَيْسِ أَنِّي  
وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ أَلْقَيْتُ كَلْكَلِي  
قَصِيرٌ، وَقَدْ أَغْبَا أَبَاهَا قَصِيرُهَا  
وَعَانَقْتُهُ، وَالخَيْلُ تَدْمِي نَحْوَرُهَا  
كَرَّرْتُ، وَنَارُ الحَرْبِ تَغْلِي قُدُورُهَا  
عَلَى شَيْخِهَا، مَا كَانَ يَبْدُو نَكِيرُهَا<sup>46</sup>

يبدأ الشاعر أبياته بسرد "زعم المرأة مستنكراً نظرتها الفاصرة، التي تعتقد أنّ قصر القامة مبعث ازدراء، وطولها مبعث إكبار. ويسرد عليها أحداث انقضاضه على طوال القامة (وربّ طويل)، وما قدّمه قصره من عون في ميادين القتال، فقد مكّنه من التعلّق بعنق الفارس الطويل، وإلقاء ثقله عليه، وتجريده من ملبسه، وإرباك خططه، وحركات جواده. وهنا تنضح صورتنا الخصمين بما يثير الضحك: صورة قصير، عابث، مُربك مقابل صورة طويل، جاد، مرتبك. ويرسم الفعل (عانقته) بعداً هزلياً، فقد سمى فعلي المشاجرة والمدافعة معانقة، فإذا كان الفارس الطويل يعانق صهوة حصانه فالفارس القصير يعانق عنق الفارس الطويل؛ ليبين لتلك الساخرة أنّ نقصه البدني لم يحل دون ابتداع أفانين جديدة تفاجئ الطويل بجواها، وتنال استحسان المقارن بينهما"<sup>47</sup>.

38 ينظر: البشكري، الحارث بن حلزة، ديوان الحارث بن حلزة البشكري، تحقيق: مروان العظيمة، (دمشق وبيروت: دار الإمام النووي ودار الهجرة للنشر والتوزيع، 1994)، ص55.

39 ينظر: المصدر السابق، ص128، والجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص53. لا تعزّي: لا تعيبي. والروق: أن تطول الثنايا العليا السفلى. التوليع: ضروب من الألوان، والطرف: الفرس كريم الطرفين.

40 من أمثال العرب في ذم المحسن: يجري بليق ويذم. وهو فرس كان يسبق الخيل، وهو، في ذلك، يُذم ويُعاب. ينظر: ابن سلام، القاسم، كتاب الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، (دمشق وبيروت: دار المأمون للتراث، 1998)، ص267.

41 الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص37.

42 المصدر السابق، ص45.

43 اخليفة "خطاب ذوي العاهة في الثقافة العربية"، ص279.

44 لم يُعثر له على ترجمة سوى أنّه جاهلي. ينظر: البصري، علي بن أبي الفرج، الحماسة البصرية، تحقيق: عادل سليمان جمال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1999)، ص226/1.

45 أسر سلمة بن مزة الشيباني امرأ القيس بن عمرو، فاطلقه على الفداء، وكان سلمة قصيراً، فلما رآته بنت امرئ القيس احتقرته لقصره. ينظر: البصري، الحماسة البصرية، ص226/1.

46 البصري، الحماسة البصرية، ص226/1.

47 عكو، أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي، ص403-404.



ومما يدخل في باب التندر أن يصور الشاعر الجاهلي العاهة ونقيضها مجتمعين في زمان واحد ومكان واحد، تشكلان مشهداً تصويرياً واحداً، يغدو مادة فكاوية مواراة بعناصر الإضحاك، من ذلك مقارنة أنيف بن زبّان التيهاني<sup>48</sup> بين طول قامة أحد فريقيين متحاربين وقصر الآخر في قوله<sup>49</sup>:

ولمّا التقى الصّفان واشتجَرَ القنا  
تَبَيَّنَ لي أَنَّ القَمَاءَ ذِلَّةٌ  
فلَمّا أَتَيْنا السّفْحَ من بَطْنِ حائِلٍ  
دَعَوْا لِنِزارٍ، وَأَنْتَمِنَا لَطِيءٍ  
ولمّا التَقَيْنا بَيْنَ السِّيفِ بَيْنَنا  
ولمّا عَضِينا بالسِّوْفِ تَقَطَّعَتْ  
فَوَلَّوْا، وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ  
ولمّا تَدَانَوْا بالرماحِ تَضَلَّعَتْ

نَهالاً، وَأَسْبَابُ المَنايا نَهالها  
وَأَنَّ أَعْرَاءَ الرِّجالِ طَوالها  
بِحَيْثُ تَلَقَى طَلْحُها وَسَيالها  
كَأَسَدِ الشَّرِي إِقْدامها وَنِزالها  
لِسانِةٌ عَنّا حَفِي سَوالها  
وسائِلُ كاتَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبالها  
قَوادِرُ، مَرَبُوعاتُها وطَوالها  
صُدورُ القنا مِنْهُمْ، وَعَلَتْ نَهالها<sup>50</sup>

بتوقع المتلقي أن المشهد الحربي مشهد جدّي، ويبعد كل البعد عن معاني الهزل، "ففي اللحظة التي أخذ فيها الطرفان يتصارعان أبصر مراقب المفارقة ما ليس هنا أو أنه، إذ اتضح له طول قامات قومه مقابل قصر قامات خصومهم، فعند التقابل برز التباين، وكأنه يمسك بمعيار يحسم نتيجة القتال لصالح قومه وهذا المتلقي بوجود رابط بين طول القامة والغلبة، مع أنّ الطول ليس شرطاً للتصر، ولا القصر سبباً للهزيمة"<sup>51</sup>.

وعلى هذا تبدو هذه الأشعار افتراضات غير ملزمة، ولا يمكن للمتلقي أن يُخدع بمضامينها لمجرد أنّ بعض الشعراء الجاهليين احتجوا لها، ودعوا إلى الاقتناع بها.

#### 4/2. قلب الحقائق:

لم تظهر أكثر الرؤى الشعرية الجاهلية أصحابها من ذوي العاهات محرّجين من عاهاتهم، أو محبطين أو مستسلمين، وإن كان النقص الحاصل منها مؤثراً في طبيعة حياتهم، سواء تأثيراً كبيراً أم تأثيراً يسيراً، بل على العكس كان الشاعر الجاهلي يقابل ويوارب ويحسن القبح ويقبح الحسن على نحو يقلب الإصابة تعافياً والتعافي إصابة، ويجعل المرض صحة والصحة مرضاً، ويحيل النقص كمالاً والكمال نقصاً كما ظهر في تجربة سلمة بن مزة الشيباني عن قصار القامة وطوالها، وكما سيبدو من خلال النماذج الشعرية التالية، من ذلك كلام سويد بن أبي كاهل اليشكري عن برصه وشبيهه وصلعه:

#### كَيْفَ يَرْجُونَ سَقاطِي بَعْدَما لَاحَ في الراسِ بياضٌ وصلَعُ<sup>52</sup>

ينزع سويد بن أبي كاهل اليشكري منزع الفكاهاه حبال عاهاته، فقد عانى من البرص والصلع والشيب، لكنه آثر الاعتراف بهم، والحديث عنهم بنفس راضية كي يسبق من تسول له نفسه النيل منه بها، فهو يقر بها، ويعترف بها، ولا ينكرها، وهو راض عنها مقتنع بها، ثم إن من يتصف بها يتمتع بمزية لا يفتن لها إلا القليل من الناس، وهي مزية العقلانية والحلم، فمن تتوفر فيه بعيد عن الزلات، مجانب للهفوات.

ويقف الشاعر نفسه حبال عاهاته نفسها الموقف ذاته أمام عالم المرأة الذي أنكر عليه اجتماع هذه العاهات في شخصه، فهُرَع إلى تحسين القبيح من خلال الصور الآتية:

نَفَرَتْ سَـوْدَةٌ مَنىي أَنْ رَأَتْ  
صَلَعَ الرّاسِ وفي الجُدِ وَضَحُ  
قُلْتُ يا سَـوْدَةَ هَذا وَالَّذي  
يُفَرِّجُ الكُزْبَةَ عَنّا وَالكَعْخُ  
هُوَ زَيْنُ الوَجْهِ لِلْمَرءِ كَما  
رَينَ الطَّرْفِ تَحاسِينُ القُرْحِ<sup>53</sup>

يزعم سويد بن أبي كاهل اليشكري أنه مستغرب من نفور المرأة من صلغ أصابه، وبرص اعتراه، فمضى "يكذب الحقيقة ويصدق الوهم في تجميل القبح المائل فيه مقسماً لها أنّ الصلغ والبرص من علائم البشاشة والإشراق"<sup>54</sup>. ومن مزيلات الهموم والبلايا. ويستحضر

48 هو أنيف بن زبّان أحد بني نيهان بن نعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، شاعر مقل، فارس. ينظر: بابتي، عزيزة فوال، معجم الشعراء الجاهليين، (بيروت: دار صادر، 1998)، ص41.

49 البصري، الحماسة البصرية، 119/1-120.

50 اشتجر: من شجره بالرّمح، أي: طعنه. نهالاً: يريد أنها وردت الدم مرة ولم تُثَنّ، وذلك أنّ النّاهل الذي يشرب أول شربة، فإذا شرب ثانية فهو عال. السّفْح: أسفل الجبل. حائل: واد. الطلح: شجر ضخم. السّيال: واحدها سيالة، وهو ما طال من السّمُر، نوع من الشجر. دعوا لنزار: قالوا: يا لنزار. قوادِر: مقتدره عليهم، متمكنة منهم. المربوع: ما كان بين الطويل والقصير. التّضَلَع: امتلاء الأضلاع شبعاً ورثاً.

51 عكو، أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي، ص402.

52 اليشكري، سويد بن أبي كاهل، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، تحقيق: شاكر العاشور، (البصرة: دار الطباعة الحديثة، 1972م)، ص32. السقط: العثرة والزلة.

53 الجاحظ، البرصان والغرجان والغميان والخولان، ص63. الوضخ: البرص. الكرب: الحزن والغم. الكلخ: التكشير ويُدو الأسنان عند العيوس. الطّرف: الكريم العتيق من الخيل. التحاسين: جمع تحسين: وهو التزيين. القُرْح: الحديث عن الشيء بما يزيّنه.

54 عكو، أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي، ص242.

"صورة الفرس العتيق (الطرف) الذي يظهر البياض في جبهته، فيزيده جمالاً وبهاء، وخلافاً لسويده، فالشاعر يرى أن ظهور البياض في جلده من البشائر التي ينبغي أن يفرح بها المرء ويفتخر؛ فالرجل الأبرص متميز عن غيره، مشهور بين أقرانه مثل الفرس الأبلق"<sup>55</sup>.

ويذهب الأعشى المذهب ذاته حيال اشمنزاز المرأة من عنتي الشيب والصلع في الأبيات المنسوبة له:

بَاتَتْ سَعَادًا وَأَمْسَى حَبْلَهَا انْقَطَعًا      وَاخْتَلَّتِ الْعُمَرُ فَاَلْجُدَيْنِ فَالْفَرَعَا

وَأَنْكَرْتَنِي وَ مَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتِ      ، مِنْ الْحَوَادِثِ، إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَاةَ<sup>56</sup>

يريد الأعشى من المرأة أن تقبل الشيب والصلع المائلين فيه على "أنهما حدثان طبيعيان لا يغيران في الرجل سوى ملامحه الخارجية. ويتحایل على الذات والمرأة ملتفتاً عن الحديث عن قضية ضعفه وقبحه إلى الحديث عن قضية شيبه وصلعه معولاً على أن قيمة الرجل في مضمونه لا في شكله"<sup>57</sup>.

## 5.2. الاستسلام والتسليم:

يبدو من غير منطقي تصوّر الشاعر الجاهلي قوياً على الدوام أمام حوادث الأيام وأرزاء الحياة؛ فهو كغيره من الناس، قد يتقبل عاهته، ويتكيف معها، وقد ينكرها على ذاته، وإن أسر في نفسه الاعتراف بها، فهي ظاهرة بادية للعيان. وقد يرافق ذلك ضحك مرير منها، هو أشبه بالبكاء عليها، وقد يرافقها بكاء صريح حيالها، واستسلام وتسليم بها؛ لأن الشاعر الجاهلي مقتنع أن كل امرئ معرض لمثل هذه الإصابات في حياته، فذو الإصبع العداوني عانى كثيراً من العلل، عانى من وهن البصر، وثقل السمع، والتّرم، وانحناء الظهر، والشيوخوخة حتى ألجأه كل ذلك إلى الاتكاء على العصا، وقد وقف أمام كل تلك العلل أحد موقفين: موقف المازح المتندر، وموقف الحكيم المتمتع بالنضج العقلي، يقول في ضعف حواسه، وتدهور صحته:

أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَرَى الشَّخْصَيْنِ أَرْبَعَةً      وَالشَّخْصَ شَخْصَيْنِ لَمَّا مَسَّنِي الْكِبَرُ

مَا لِلْكَوَاعِبِ يَا دَهْمَاءَ قَدْ جَعَلَتْ      تَزْوُرُ عَنِّي وَتَطْوَى دُونِي الْخَجْرُ

قَدْ كُنْتُ فَرَاخَ أَبْوَابٍ مُعَلَّقَةٍ      دَبَّ الرِّيَادِ إِذَا مَا خُولِسَ النَّظْرُ

لَا أَسْمَعُ الصَّوْتِ حَتَّى أَسْتَدِيرَ لَهُ      نَيْلًا وَإِنْ هُوَ نَاغَانِي بِهِ الْقَمْرُ

وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى الرَّجْلَيْنِ مُعْتَدِلًا      فَصِرْتُ أَمْشِي عَلَى مَا تَثْبُتُ الشَّجْرُ

إِذَا أَقْوَمُ عَجَنْتُ الْأَرْضَ مُتَّكِنًا      عَلَى الْبَرَاجِمِ حَتَّى يَذْهَبَ النَّفْرُ<sup>58</sup>

يعج النص بصور الضعف المثير للضحك الممزوج بالشفقة؛ إذ يبدأ "بصورة فكاهية تنم على ألم دفين، ينقّس عنه بإضحاك الآخر منه، فمع تقدّم السنّ به اعترى بصره وهنّ شديد، فإذا ما نظر إلى رجلٍ أبصره رجلين، وإذا ما نظر إلى رجلين أبصرهما أربعة... ويرصد ضعف حاسة البصر لأهميتها في تذوق الجمال الأنثوي، فبعدما كان يُسرّ بإقبال المرأة مفتحةً له أبواب الحبّ المغلقة أضحي يسوؤه إدبارها عنه، وإبصارها أبوابها في وجهه... وينتقل إلى الحديث عن حاسة السمع من خلال تصوير نفسه عاجزاً عن سماع صوت مكلمه، فإن كلمه لم يسمعه إلا إذا أنعم النظر في حركات شفتيه، فيمسك ببعض مقصده... ثم يقابل بين وضعين يحنّ إلى أحدهما وينفر من الآخر، فقد كان يسير على رجلين قويتين منتصب القامة، مرفوع الهامة، فصار يمشي محدودب الظهر، مطاطئ الرأس على رجلين ضعيفتين تستعينان بعضاً أحجم عن ذكر اسمها (فصرت أَمْشِي على ما تثبت الشجر) سخريةً من تصلّب جسد مرن، ألجأه إلى ما هو أضعف منه... هذه هي صورة الشيخ الهرم إذا ما أراد السير، أما إذا كان جالساً بين الناس، وأراد النهوض فتبدو الصورة أشدّ إضحاكاً (إذا أقوم عجت الأرض)، إذ يحار في أمره، فيتكئ على الأرض على مهل، ويعجنها عجنًا بأصابع يديه، حتى إذا تمّ له النهوض ألقى نفسه وحيداً، قد رحل الجميع عن المكان"<sup>59</sup>.

وكذلك يصور ذو الإصبع العداوني سخرية الأنثى من تساقط أسنانه وأحدياب ظهره:

هَزَيْتُ زُنْبِيَّةً أَنْ رَأَتْ تَرْمِي      وَأَنْ ائْحَنِي لَتَقَادِمِ ظَهْرِي

مِنْ بَعْدِ مَا عَهَدْتِ فَاذْلُقْنِي      يَوْمَ يَجِيءُ لَيْلَةٌ تَسْرِي

55 العسري، عادل ابت، "الفخر بالعيوب الجسدية في الشعر العربي القديم"، جامعة القاضي عياض 1/11 (2021م)، ص 451.

56 الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص 101. بانت: بعدت. أنكرتني: جهلتني.

57 عكو، أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي، ص 242- 243.

58 الغدواني، ذو الإصبع، ديوان ذي الإصبع العداوني، تحقيق: عبد الوهاب حمد عليّ العداوني ومحمد نائف الدليمي، (الموصل: منشورات وزارة الإعلام، 1973)، ص 33 – 34. ذبّ الزيادة: كثير الذهاب والمجيء. المناغاة: المكالمة والمغازلة. البراجم: جمع البرجمة، وهي مفاصل الأصابع من ظاهر الكف. الثُّقْر: الثناس كلهم أو الزهط: ما دون العشرة من الرجال.

59 عكو، أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي، ص 399-401.

حتى كآتي خاتل قنصا  
 والمرء بعد تمامه يخري  
 لا تهزني مني زيتب فما  
 في ذاك من عجب ولا سُخر  
 أو لم تزي لقمان أهلكه  
 ما اقتات من سنة ومن شهر  
 وبقاء نسر كلما انقضت  
 أيامه عادت إلى نسر  
 ما طال من أمدي على لبد  
 رجعت مؤرثه إلى قصر<sup>60</sup>

يبدو النفور الأنثوي من الشيخوخة أمرًا مؤلمًا للرجل، لكن الشاعر يعلن استسلامه وخضوعه لسطوة الموت، ويقف أمام استهزاء المرأة من تساقط أسنانه وانحناء ظهره ونيل الأيام من قوته موقف الحكيم العاقل الذي يدرك أن ما يتناقص من صحته وجماله أمر طبيعي، بل هو سنة من سنن الوجود، فما من مخلوق يكتمل نموًا وصحة إلا ويتناقص قوةً وجمالاً، فهذه سنن الكون في كائنات الوجود. ويستحضر للمرأة من الموروث التاريخي الجاهلي قصة تدعم وجهة نظره، وتتحدث عن مصير لقمان الذي هلك بهلاك آخر نسر من نسوره السبعة.

و"لكن ليس كل إنسان قادرًا على إخفاء حقيقة مشاعره إزاء ما يؤلمه، فهذا عمرو بن قميئة يجش بالبكاء كلما ازداد طغيان بياض المشيب على سواد الشباب"<sup>61</sup>، يقول عمرو بن قميئة:

بكيت وأنت اليوم شيخ مجرب  
 على رأسه شرخان من لون أصناف؟  
 سواد وشيب، كل ذلك شامل  
 إذا ما صبا شيخ فليس له شاف<sup>62</sup>

ينظر عمرو بن قميئة إلى نفسه، فيجدها تترجح بين تشبث بالحياة ومسير إلى الموت، و"ربما كان أسمى ألم يعانيه الإنسان هو ذلك الألم الناتج من استحالة إيقاف الصراع الحتمي بين السواد / الشباب والبياض / المشيب، فهو صراع، قبل أن يحدث، واضح العواقب. والذي يبكي عمراً أن هذا الصراع بدأ يحدث لديه، فيذكره بما كان ساهياً عنه أو متناسياً إياه، يذكره بدنو الأجل وقرب الرحيل"<sup>63</sup>.

وعلى هذا وقف الشعراء الجاهليون حيال ضعفهم الجسدي مواقف متباينة، فمنهم من وقف موقف المجابهة لمرضه، ومنهم من نزع منزع السخرية، ومنهم من مال نحو الفكاهة من غير خضوع أو استسلام لتلك العلل، ومنهم من وقف موقف المستسلم المتضرر، مصورين الأشخاص والأشياء التي كان تعينهم في حياتهم اليومية، من ذلك الخادم والعصا والأرض. وأكثر وقفاتهم كانت سريعة خاطفة، يستغرقها البيت أو البيتان أو النتقة أو المقطعة.

#### الخاتمة:

يتبين من النماذج السابقة التي اقتطفت من مصنفات الموروث الشعري القديم إيجابية الشاعر الجاهلي تجاه علته، وبراعته في التلاعب الكلامي عنها، وقدرته على الاحتجاج للعلل الظاهرة فيه، وإقناع المتلقي بالمستويات الإنسانية والمبادئ الأخلاقية الرفيعة المتحققة من جراء الإصابة بتلك الآفات، حتى تفاضل فيها الصحيح والعليل، بل ربما رجحت كفة المفاضلة للمعوق من دون السليم، لما يثيره الشعور بالإعاقة من دوافع نفسية تحت الذات على إثبات جدارتها كي تؤكد لها وللآخر قدرتها لا عجزها، وقوتها لا ضعفها؛ ولذلك يتفوق أصحاب العاهات، في كثير من الأحيان، على من لا عاهة فيهم، ليثبتوا أحقيتهم بنعتهم بالكمال البدني وإن بدا غير ممكن، وبالشخصية الإيجابية الفاعلة، المعيلة لا المعالة، الخادمة غير المخدمة. الشخصية التي لا تنقل على أحد بسبب تلك الأفة الجسدية، بل على العكس، تخدم الآخر بتفوقها في ميادين أخرى متعددة غير تلك التي تستند فيها على العضو المصاب، كما ظهر عند الأعشى الذي أسهم ضعف بصره في تفوقه في تشكيل الصور البصرية، كنوع من تعويض نقص البصر بكمال التخيل. وكذلك العقم والعوز حثا الشاعرَ البطلَ عامرَ بنَ الطفيل على إثبات فروسيته على كلا المستويين الواقعي والشعري.

#### المصادر والمراجع

الأمدي، الحسن بن بشر، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكُنَاهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق: ف. كُرْنُكو، دار الجبل، بيروت، الطبعة 1، 1991م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن، تليق فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة 1، 1997م.

ابن جرّة، الحارث، ديوان الحارث بن جرّة البشكري، تحقيق: مروان عطية، دار الإمام النووي ودار الهجرة، دمشق وبيروت، الطبعة 1، 1994م.

الأزدي، ابن توريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 1، 1987م.

ابن سلام، القاسم، كتاب الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، الطبعة 1، 1980م.

<sup>60</sup> ذو الإصبع، ديوان ذي الإصبع العدوان، ص39 - 41. دلف الشيخ: إذا مشى قارب الخطو من الوهن والضعف. السرى: السير ليلاً. يحري: ينقص. اقتات: أكل. لبد: أحد نسور لقمان.

<sup>61</sup> عكو، حنان، اللون في شعر بني بكر قبل الإسلام (حلب: جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 2009)، ص137.

<sup>62</sup> ابن قميئة، عمرو، ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (القاهرة: جامعة الدول العربية- معهد المخطوطات العربية، 1965)، ص73. الشرخان: المتلان. صبا الرجل: مال إلى صبوة الفتوة.

<sup>63</sup> عكو، اللون في شعر بني بكر قبل الإسلام، ص137.



- ابن الطّفيل، عامر، ديوان عامر بن الطّفيل، تحقيق: عمر فاروق الطّبّاع، دار القلم، بيروت، 1994م.
- ابن عدي، الهيثم، المثالب، تحقيق: عصام مصطفى عقلّة ومحمد عبد القادر خريسات، الجامعة الأردنية، الأردن، 2010م.
- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة 2، 1969م.
- ابن قميّة، عمرو، ديوان عمرو بن قميّة، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1965م.
- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة 3، 1994م.
- أخليفة، الحسين، (2022). "خطاب ذوي العلل في الثقافة العربية: بحث في المرجعيات الثقافية والمنازع الجمالية"، إربد للبحوث والدراسات الإنسانية 2/24.
- الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، د.ت. بابتي، عزيزة فوّال، معجم الشعراء الجاهليين، دار صادر، بيروت، الطبعة 1، 1998م.
- البصري، علي بن أبي الفرج، الحماسة البصريّة، تحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة 1، 1999م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة 2، 1975م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة 1، 1990م.
- جاد المولى، محمد أحمد وأخران، أيام العرب في الجاهليّة، دار الجيل، بيروت، 1988م.
- الجرجانيّ، عليّ بن محمد، التّعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الرّيّان للتراث، القاهرة، 1982م.
- جلول، سامي محمد، (2021). "واقع أصحاب العاهات في القرن الأول الهجري (1-132هـ/ 622-750م)"، الحداثة عدد 215-216.
- الحولي، ماهر حامد، المعاق في الفكر الإسلامي، الجمعية الفلسطينية للعلوم التربوية والنفسية، فلسطين، 2007م.
- الدريديّ، سامية، الحجاج في النّبع العربيّ بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الثانية، 2011م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، الشعور بالعوّور، تحقيق: عبد الرزاق حسين، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة 1، 1988م.
- العبد، محمد، (2005). "النّصّ الججاجيّ العربيّ"، جذور 21/9.
- العَدَوَانِيّ، ذو الإصبع، ديوان ذي الإصبع العَدَوَانِيّ، تحقيق: عبد الوهاب حمد عليّ العَدَوَانِيّ ومحمد نايف الدليمي، منشورات وزارة الإعلام، الموصل، 1973م.
- العسري، عادل، (2021). "الفخر بالعيوب الجسدية في الشعر العربي القديم"، جامعة القاضي عياض 1/11.
- عكو، حنان، أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي، دائرة الثقافة، الشارقة، الطبعة 1، 2019م.
- عكو، حنان، اللون في شعر بني بكر قبل الإسلام، حلب، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 2009م.
- عكو، حنان، (2020). "النزوع الججاجي في نقيضتي عامر بن الطفيل والنابعة الذيباني"، مجلة آفاق الثقافة والتراث- مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث عدد 111.
- الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 8، 2005م.
- القاري، علي، مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، الطبعة 1، 2002م.
- القرطاجنيّ، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة 3، 1986م.
- اليشكرّي، سويد بن أبي كاهل، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكرّي، تحقيق: شاعر العاشور، دار الطباعة الحديثة، البصرة، الطبعة 1، 1972م.